السنة: 2020 المجلد: 05 العدد: 02 ص ص: 821 - 839
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

أثر جائحة كورونا (كوفيد 19) على الدراسات الأمنية

The impact of the Corona pandemic (Covid 19) on security studies

بونوار بن صابم[1]، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

bounouar.bensaim@univ-tlemcen.dz

تاريخ الإرسال: 2020/05/11 تاريخ القبول: 2020/06/08

ملخص:

تحاول هذه الدراسة استكشاف التأثيرات المحتملة لجائحة الفيروس التاجي (كوفيد 19) على تطوّر الدراسات الأمنية المعاصرة، عبر استعراض التداعيات التي يمكن أن تحدثها الجائحة على توزيعات القوة في النظام الدولي، وعلى فلسفة الحكم المحلي والعالمي، مع التركيز على أهم الأجندات البحثية في مجال الأمن كالأمن الإنساني والأمننة، وعلاقتها بمسارات السيناريوهات المفترضة لأهم الإتجاهات البحثية في دراسة موضوع الأمن.

الكلمات المفتاحية: جائحة كورونا - الدراسات الأمنية - النظام الدولي - الأمن الإنساني – الأمننة.

Abstract:

This study attempts to explore the possible effects of the corona virus pandemic (Covid-19) on the development of contemporary security studies. This may be achieved by reviewing the repercussions of the pandemic on power distributions in the international system, and its impact on the philosophy of local and global governance, with a focus on the most important research agendas in security such as human security and securitization, and its relationship to the presumed scenarios pathways for the most important research directions in the security studies.

[1]- المؤلف المراسل

Keywords: Corona pandemic, Security studies, International system, Human security, Securitization.

مقدمة:

تعتبر سنة 2020 سنة استثنائية في مجال الدراسات الأمنية بامتياز، كيف لا وقد شهد العالم في غضونها جائحة عالمية استوت في مواجهتها القوى الدولية، عظيمها وصغيرها، ووضع مفهوم القوة في حد ذاته على محك حقيقي.

لقد أثبث فيروس كورونا المستجد عجز التضمين التقليدي لقوة الدولة وسلطتها عن استيعاب حجم الخطر والتهديد الذي يشكله على حياة الأفراد، وعلى قدرة الدولة في ضمان الخدمات الأساسية التي وجدت لأجلها، والتي تتجاوز الخدمات الصحية إلى توفير شروط العيش في ظل شلل النشاطات الإقتصادية والحكومية ونضوب موارد الكثير من الأفراد والعائلات، فأن تكون الدولة نووية لا يعني أنها على استعداد تام لضمان أمن مواطنيها وحمايتهم ضد كل المخاطر، سيما المخاطر غير العسكرية.

كما أثبثت الجائحة من جهة أخرى الحاجة الملحة لتفسيرات وحلول أمنية، دأبت البحوث الأمنية منذ فترة على تضمينها في نطاقها البحثي، وإيلائها مكانة معتبرة ضمن اهتمامات وانشغالات الباحثين والخبراء الأمنيين على السواء.

يكتسي البحث في تأثيرات جائحة كورونا على الدراسات الأمنية أهمية علمية من زاوية استكشاف إسهاماتها المحتملة في الديناميكية التنموية التي يشهدها هذا الفرع من الدراسة، وكذا من زاوية إثراء النقاش القطاعي ضمن تخصص العلاقات الدولية حول الأحقية الإبستمولوجية في الإستحواذ على دراسة القضايا المؤمننة.

أما من الناحية العملية، فإن هذا البحث يتطلّع إلى محاولة فهم أسس اختلاف إدارة الدول للأزمة التي أفرزتها الجائحة، والتغيرات التي يمكن أن تطرأ على فنون وأصول ممارسة حكم الدولة.

في حين تستهدف هذه الدراسة فهم الكيفية التي جعلت من جائحة كورونا تكتسي أهمية بالغة في الحياة الإجتماعية المحلية والعالمية، وكذا انعكاساتها على النظام الدولي وأجندة البحوث في مجال الأمن، كما تهدف إلى معرفة الإتجاهات المستقبلية التي يمكن أن تأخذها الدراسات الأمنية تحت تأثير الجائحة.

على ذلك، جاءت إشكالية هذا البحث كالآتي :

ما هي التداعيات المحتملة لجائحة كورونا (كوفيد 19) على الدراسات الأمنية؟

1. جائحة كورونا (كوفيد 19) والنظام الدولي:

يشكّل تقدير تداعيات جائحة الفيروس التاجي (كوفيد 19) على النظام الدولي أحد المداخل المهمة لاستبصار التطور المحتمل للدراسات الأمنية بسبب الفيروس، نظرا لكون هذا التقدير يمكّن من دراسة إمكانية حدوث تعديلات في توزيعات القوة العالمية، أو طرح الإفتراضات المتعلقة بإمكانيات المواجهة العالمية بين القوى الدولية، ومن ثمة أثرها على الأمن والسلم الدوليين.

لقد أثبث انتشار وباء كورونا المستجد مثله مثل الأوبئة الحديثة في العالم زيف الإعتقاد بأن التطور العلمي في مجال بحوث الصحة العمومية وعلم الأوبئة تحديدا بإمكانه إيجاد لقاح فوري للفيروسات الجديدة، ناهيك عن تطوير لقاحات لأوبئة محتملة الظهور والإنتشار؛ (ووكر، 2007، صفحة 56) ولأجل ذلك لم يعد من المعقول الإستناد إلى قوة الدول بمفهومها التقليدي القائم على العناصر المادية (الجيش والإقتصاد والجغرافيا السياسية والسكان وحتى التطور التكنولوجي والعلمي) لتحليل فعالية السياسات الحكومية تجاه الجائحة، سواء كانت سياسات صحية، أو سياسات أمنية بالمفهوم الشامل.

وعلى أساس عجز مفهوم توزيع القوة التقليدي في تقديم التفسيرات المطلوبة للسياسات الدولية حيال هذه الجائحة، علت الكثير من الأصوات المستشرفة لحدوث تغيرات جوهرية في النظام الدولي، من حيث شكله، وبناه، وأنماط توزيعات القوة فيه...الخ.

يشير عصام عبد الشافي إلى أن الجائحة الحالية بإمكانها التأثير على النظام الدولي من أربعة أوجه: (عبد الشافي، 2020، الصفحات 6 -9)

- الوجه الأول هو التداعيات على الوحدات الدولية، حيث من المنتظر أن تتعزّز الدولة الوطنية في ظل إجراءات الأمننة التي باشرتها معظم دول العالم، في ظل انكشاف هشاشة الفعالية الحكومية لأقوى الدول في النظام الدولي، وتضرّر صورة الولايات المتحدة كقائدة للعالم.

- الوجه الثاني هو التداعيات المحتملة على البنيان الدولي، حيث من المتوقع أن تحقق القوى الشرقية بعض المكاسب الدولية دون التسبب في تغيير جذري لطبيعة توزيعات القوة.

- الوجه الثالث يتعلّق بتأكيد أهمية الدور الذي تلعبه المؤسسات الدولية في عمليات رصد الوباء والتحليل وتقديم الخطط والبدائل، وضمان فضاءات التعاون الدولي ضد هذا "العدو المشترك".

- الوجه الرابع يرتبط بالعمليات الدولية، والتي أصبحت سلبية بسبب الجائحة، حيث أدّت إلى مزيد من الإنعزالية والإحتقان الداخلي، وأضحت تطرح تحديات حقيقية على التعاون الدولي ودور الدبلوماسية الصحية والتنظيم الإقتصادي العالمي.

وكثيرة أيضا هي القراءات التي استشرفت حدوث تغييرات جوهرية في النظام الدولي، وإمكانية استفادة الصين من الوضع الذي خلفه الوباء لتحقيق مكاسب في سبيل الإرتقاء في سلم القوى الدولي؛ فهل يمكن أن يؤدي الوباء إلى تغير موازين القوى الدولية لصالح الصين؟

تتعزّز هذه القراءات بفشل الولايات المتحدة في التعاطي مع الوباء والذي أضر بشكل كبير بصورة الولايات المتحدة ومكانة قوتها، مقابل تحويل الصين لمشكلة الوباء إلى دعاية سياسية لتسويق صورة حسنة وناعمة عنها، كدولة تمكّنت من التحكم في انتشار الوباء داخليا عبر فرض سياسات صحية واجتماعية وأمنية صارمة تروّج لقدراتها في السيطرة السياسية الداخلية، وكذا عبر المساعدات الطبية وتقديم الخبرات الطبية في الخارج، والتشكيك في

مختلف السياسات الدولية (سيما الأوربية) المنتهجة لمواجهة الجائحة؛ كما استفادت الصين كثيرا من تعاونها مع منظمة الصحة العالمية في تمرير هذه القوة الناعمة مقابل دخول الولايات المتحدة في جدل غير مثمر مع المنظمة العالمية، والذي كان تعليق الدعم المالي الأمريكي لها أحد الإجراءات التي ساهمت أكثر فأكثر في الإضرار بصورة الولايات المتحدة عبر العالم، كما ازدادت الصورة الدولية للولايات المتحدة سوءا مع شعبوية الخطاب السياسي الأمريكي الرسمي الذي ركّز على توجيه الإتهامات أكثر من تركيزه على إيجاد الحلول.

يحاجج جوزيف ناي في تصريح له لمجلة "فورين بوليسي" في كون التغيرات العالمية الكبرى على صعيد النظام الدولي حدثت تاريخيا بسبب حروب وليس بسبب أمراض، وبأن مختلف الإستشرافات بتعاظم قوة الصين وتعزيز مكانتها في سلم القوى الدولي ترتبط بالسياسات العرجاء للولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي أدت إلى حروب طويلة وغير مثمرة في أفغانستان والعراق، كما ترتبط بالسياسات الإقتصادية الشعبوية في الديمقراطيات الغربية، التي أعقبت الركود الإقتصادي بعد أزمة 2008، والتي ساهمت بطريقة غير مباشرة في تعزيز الحركات الإستبدادية في مختلف دول العالم.

ويعتقد ناي أن الإتهامات المتبادلة بين السلطات في الصين والولايات المتحدة بالتسبب في الفيروس عملت على تقويض التعاون الدولي وساهمت في تشجيع إنكفاء الدول على ذاتها، ينضاف إليه انقسام الإتحاد الأوربي سواء إزاء الإتهامات المتبادلة هذه، أو في تحديد سياسة مشتركة في مواجهة الوباء. (NYE, 2020, p. https://bit.ly/35i6HVw)

ويرى وليد عبد الحي في السياق ذاته، أن الجائحة ستحدث تغييرات محسوسة جدا على مستوى الإقتصاد العالمي، وعلى التنمية عبر العالم؛ وعلى المستوى الداخلي للدول، لكن المجموعة الدولية لا تملك غير الآليات والمؤسسات التي توفّرها العولمة لمباشرة عملية التعافي من الجائحة، ثم النهوض الإقتصادي العالمي؛ دون نفي الدور الذي يُنتظر أن تلعبه التيارات السلمية في

العلاقات الدولية، والتيارات المناهضة للعولمة. (عبد الحي، 2020، الصفحات 10 -14)

ويذهب جوزيف ناي في تحليل آخر له إلى أن فيروس كوفيد 19 أظهر قصور الإستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي المرتكزة على منافسة القوى العظمى التي أعلنها الرئيس دونالد ترامب في عام 2017، حيث أنه حتى لو سادت الولايات المتحدة العالم كقوة عظمى، فإنها لا تستطيع حماية أمنها من خلال التصرّف بمفردها، على اعتبار أن تقنيات القرن الحادي والعشرين ليست عالمية فقط في توزيعها، ولكن أيضًا في عواقبها؛ ويمكن أن تصبح الأمراض وأنظمة الذكاء الاصطناعي وفيروسات الكمبيوتر التي قد يطلقها الآخرون بقصد أو عن طريق الخطأ مشكلة الجميع؛ ولا يكفي حينها التفكير في تفوّق القوة الأمريكية على الدول الأخرى، وإنما من الضروري معرفة أهمية القوة مع الاخرين مع دفاع كل دولة على مصلحتها الوطنية. (NYE, 2020, p. https://bit.ly/2SmcZ0W)

تشير الأفكار التي طرحها العديد من أساتذة العلاقات الدولية مثل ناي وستيفن والت وعبد الحي إلى أن التعامل الجيّد للحكومات مع جائحة كورونا يمكن أن يحقق لها بعض المكاسب المعنوية، كما يمكن أن يحدث بعض التغييرات الطفيفة على صعيد النظام الدولي، لكنه لا يرقى إلى مستوى إحداث تغييرات جوهرية على بنية النظام الدولي، ولا يُتوقع أن تدفع التداعيات الناجمة عن الجائحة إلى مواجهات دولية، على الأقل على الصعيد العسكري وعلى مستوى المفهوم العام للقوة.؛ وعليه فإن مدخل النظام الدولي قد يؤشر إلى تأثير الجائحة على بحوث التنمية والإقتصاد السياسي العالمي أكثر من تأثيره على البحوث الأمنية.

2. جائحة كوفيد 19 ومسعى توسيع الدراسات الأمنية:

تشكّل الأوبئة والتحديات الصحية عموما ركنا أساسيا في الإجتهادات النقدية الرامية إلى مراجعة مفهوم الأمن وتضميناته ومواضيعه وأهدافه، ولأجل ذلك تعتبر جائحة كورونا الراهنة حجة ودفعا إضافيين لهذا المسعى، الذي وجد

التبرير الواقعي للدفاع عن أطروحاته؛ ويمكن استشفاف تأثير الجائحة على مسعى توسيع الدراسات الأمنية عبر أجندتين بحثيتين رئيسيتين، تتمثلان في الأمن الإنساني والأمننة.

2 -1 جائحة كورونا والأمن الإنساني:

لعل من المجحف القول بأن أهمية الأوبئة في مجال الأمن وليدة العلاقات الدولية المعاصرة، فكثيرة هي الأوبئة والجائحات التي شهدها العالم على مرّ العصور، والتي أثرت بطريقة أو بأخرى على استقرار دول وأقاليم، وكانت لها تداعيات سياسية واجتماعية واقتصادية مفصلية في مسار التطور الإنساني، كما أنها شكّلت موضوع عديد الدراسات والبحوث مثل دراسة شيلدون واتس (واتس، 2010، الصفحات 1 -643) حيث كثيرا ما آذنت جائحات كونية بحدوث أزمات اقتصادية وسياسية عالمية، تلاها تغيّر جوهري في النظام العالمي، ولربما تكون جائحة إنفلونزا 1918 التي تلتها الأزمة الإقتصادية العالمية 2019 أحسن مثال.

ومع أن الأوبئة شكلت تاريخيا موضوع عديد الكتابات والبحوث التاريخية والصحية وحتى العسكرية، فإنها لم تتمتّع بمركز خاص إلا في إطار الدراسات الأمنية المعاصرة مع تنامي الإتجاهات البحثية في الأمن الإنساني أساسا، سيما مع صدور التقرير الأممي للتنمية لسنة 1998م والذي ربط بين الأوبئة والتنمية عبر العالم، ثمّ قرار مجلس الأمن رقم S/RES/1308(2000) المعنون: "مسؤولية مجلس الأمن عن صون السلم والأمن الدوليين: فيروس نقص المناعة البشرية/متلازمة نقص المناعة المتكسب (الإيدز) وعمليات حفظ السلام الدولية" أين تمّ الربط الصريح بين الأوبئة - لا سيما وباء الإيدز - بالسلم والأمن الدوليين. (مجلس الأمن، 2000، الصفحات 1 -4)

لقد فتح تناول وباء الإيدز كإشكالية أمنية عالمية المجال لتجاوز التعاطي مع الأوبئة كمعضلة صحية فحسب، بل كعائق للتنمية الشاملة نظرا لارتباطها بالاقتصاد والتربية والأمن والاستقرار السياسي والإجتماعي للدول، ومن ثمة أصبحت الأمراض المعدية عموما تشكل نوعا جديدا من المشاكل الأمنية

المرتبطة بالإنسان، ذات الطابع عبر الوطني، والتي لا تتقيّد بسيادة أو بحدود الدولة؛ (HECHT, ADEYI, & SEMINI, 1998, pp. 36-39) وهي مرجعية رئيسية في تحديد مكانة فيروس كوفيد 19 في دراسات الأمن الإنساني التي تعتدّ بالأمن الصحي كأحد أهم أركانها.

وعلى الرغم من تبوء مفهوم الأمن الإنساني مكانة المبدأ الموجّه للعلاقات الدولية منذ تسعينات القرن الماضي نتاج اجتهادات الفكر السياسي النقدي، إلا أنه بقي خاضعا لمقاربات دولتية متباينة باختلاف مقاربات الدول لما يتهدّدها فعليا هي ومجتمعاتها وأفرادها، ولأجل ذلك لا تركّز كل المقاربات على قضايا الأوبئة في صياغة تصورات وتعاريف الأمن الإنساني؛ فإذا كانت المقاربة اليابانية مثلا ترتكز أساسا على مخاطر أسلحة الدمار الشامل نتاج تجربتها الذاتية مع السلاح النووي، فإن المقاربة الكندية تبدو الأكثر اتساقا مع مخاطر الأوبئة وأثرها على الأمن الإنساني؛ وقد يعزى ذلك إلى عدم تعرضها لتهديدات مباشرة على حدودها بقدر تأثرها بالاستقرار العالمي نتاج اعتمادها الكبير على التجارة العالمية الذي قادها إلى تبني مفهوم "الدفاع المتقدم"، حيث لا يرتكز المفهوم الكندي للحماية على العنف المسلح فقط، بل يشمل كذلك الوقاية من الأوبئة إضافة إلى تدهور البيئة وخرق منظومة حقوق الإنسان، والإرهاب والجريمة المنظمة، وكذا من التمييز العرقي (HEINBECKER, printemps 2000, pp. 15-18)، وفي هذا الصدد يرى بيار بيتقرو Pierre PETTIGREW أن الأمن الإنساني يتمثل في "الحقوق الإنسانية، والرفاه الاقتصادي، والتنمية المحترمة للبيئة"، إذ يتضمن هذا التعريف ثلاثة أبعاد للأمن الإنساني تتمثل في البعد الحقوقي والبعد الاقتصادي والبعد البيئي أين تتمركز الأوبئة كمكوّن رئيسي للبعد البيئي في الأمن الإنساني (حموم، 2004، صفحة 45).

ويضيف لنكولم شان Lincolm CHEN ثلاثة عناصر لتحديد مفهوم الأمن الإنساني وهي: "بقاء الإنسان، رفاه الإنسان وحرية الإنسان Human survival, human well-being and human freedom "؛ حيث علاوة على

الحرب، يرتبط بقاء الإنسان بالأوبئة والفقر، وكذا الأخطار البيئية التي تهدد البقاء البشري ككل (حموم، صفحة 46).

نتيجة لذلك، من المنتظر أن تتعزّز بحوث الأمن الإنساني بشكل كبير بعد جائحة كورونا (كوفيد 19)، سيما مع فشل الكثير من الحكومات في التعاطي الأمثل مع الجائحة، وفي حماية حياة المواطنين وتقديم الخدمات الصحية والاقتصادية الضرورية، وتسبب الفيروس في شل معظم قطاعات النشاط الإجتماعي كالإنتاج والتربية والتعليم ...الخ؛ حيث أظهر الفيروس من جديد أهمية الإعتداد بمكانة الإنسان في تعريف الأمن القومي وبضرورة اعتباره الموضوع والهدف من السياسات الأمنية الوطنية والعالمية، وبأهمية القطاعات غير العسكرية كالأمن الصحي في عمليات تحديد المخاطر وسبل معالجتها أو الوقاية منها.

2-2 جائحة كورونا وبرنامج الأمننة:

يعتبر مفهوم الأمننة نموذجا مفسرا للقضايا الأمنية وإطارا لتحليلها، حيث تنقل القضايا الأمنية من المجال غير السياسي إلى السياسي (Emmers, 2007, p. 169)، حيث تكون الأمننة في حال الأوبئة من خلال تحديد المخاطر الصحية وتداعياتها على باقي القطاعات، واقتراح تدابير استثنائية قد تكون عسكرية في بعض أوجهها (كإجراءات الحجر القسري، وإعلان حظر التجوال أو حتى إعلان حالة الطوارئ)؛ فالأمننة تعني تأسيس تذاتي لتهديد وجودي والذي يتطلب اهتماما ملحا وفوريا، فضلا عن استخدام تدابير استثنائية لمواجهة هذا التهديد (موسى، 2007، صفحة https://bit.ly/2SoPRir).

ويشكّل تعاطي الحكومات مع التهديدات الجديدة لأمن الأفراد والمجتمعات والدول كقضايا الهجرة والإرهاب والأوبئة، وكيفية تحويلها إلى قضايا أمنية حيوية مدرجة ضمن جوهر سياساتها العامة أساس اجتهادات برامج البحث في الأمننة، حيث اهتمّت مدرسة كوبنهاغن بربط الأمننة بالسياسة العامة، والكيفية التي يتم عبرها تحويل بعض القضايا السياسية من حيز العمل

السياسي العادي إلى حيز العمل السياسي الحساس، والتي تقتضي التعاطي معها في إطار يختلف عن الأطر السياسية المعتادة. (زقاغ، 2011، صفحة 68)

ويمكن تتبّع المسار الذي نحته عملية أمننة وباء كورونا (كوفيد19) عبر الإعتداد بالإطار العملي الذي وضعه رالف إيميرس في تحديد مسار الأمننة، بحيث يصيغه في وجهين: (Emmers, p. 174)

الوجه الأول: يتعلق بالخطاب السياسي، أي عندما يستعمل الفاعلون الأمنيون لغة ومفاهيم أمنية عند حديثهم عن قضايا معيّنة ليست ذات مضمون أمني في أصلها أو طبيعتها، ويقدمونها على أنها تهديد حقيقي لأهداف محددة ترتبط بالأمن الوطني للدولة أو الأمن بمفهومه الموسع؛ وهو ما أمكن ملاحظته في عموم النصوص والخطابات السياسية عبر الدول والحكومات، أين تمّ تقديم الجائحة كتهديد حقيقي للتنمية والإستقرار، ناهيك عن حياة المواطنين، بل أن تصريحات بعض رؤساء الدول والحكومات بأن دولهم دخلت في حالة حرب تعتبر دليلا قاطعا على الأمننة الفورية لفيروس كورونا.

الوجه الثاني: يمثّل اكتمال مسار الأمننة عند سعي الفاعلين الأمنيين إلى إقناع المواطنين بحقيقة هذا التهديد وبشرعية الإجراءات والسياسات الأمنية التي سيتم اتخاذها من أجل معالجته ومكافحته؛وهو ما يمكن استشفافه في مختلف الحجج التي ساقتها الحكومات لتبرير اللجوء إلى غلق الفضاءات العمومية وفرض إجراءات الحجر الصحي وحتى إعلان حالة الطوارئ في بعض الحالات، والمحاججة بها على حساب الضرر الذي يمكن أن يتمثّل في تدهور المداخيل الفردية وحقوق الإنسان والحريات الأساسية للمواطنين، وغيرها من أشكال الضرر التي يحتمل أن تلحق بالمواطنين جراء إجراءات الأمننة هذه.

لقد فسحت الإجراءات المرتبطة بالأمننة التي اتخذتها معظم الدول في مواجهة الوباء، كإجراءات العزل والحجر الصحي الجزئي والعام، وتعليق الطيران المدني، وفرض إجراءات التباعد الإجتماعي، وتعليق الدراسة لمختلف الأطوار التعليمية، وتعليق الأنشطة الإقتصادية والتجارية، وتجميد النشاطات والمنافسات الرياضية والثقافية، المجال لبروز الدراسات الأمنية كأهم تخصص

فرعي بإمكانه تقديم التفسيرات والحلول الأكثر إقناعا وحجية مقارنة بباقي التخصصات.

3. التداعيات المحتملة لجائحة كوفيد 19 على مجال الدراسات الأمنية:

من بين ما يجعل حقل الدراسات الأمنية المجال المعرفي الأكثر جاهزية للتعاطي النظري مع جائحة كورونا (كوفيد 19)، هو كونه المجال المعرفي الأكثر ابتعادا عن الحوار النظري الكلاني بين اتجاهات حل المشاكل والإتجاهات التأملية الطاغية على نظريات العلاقات الدولية، حيث تقدّم الدراسات الأمنية نموذجا تنظيريا أكثر بساطة يعتد بعدد أقل من المتغيرات، وبأهداف بحثية محددة؛ (الرويح، 2020، الصفحات 70 -72) وعلى الرغم من صعوبة حصر كل التداعيات المحتملة لجائحة كورونا الحالية على الدراسات الأمنية، أحاول في هذه الورقة التركيز على مجالين رئيسيين باعتقادي، يتمثلان في الحكم المحلي للدولة، ومشاريع إصلاح الدراسات الأمنية.

3-1 فن حكم الدولة (statecraft):

لعلّ عجز الحكومات والأنظمة السياسية عبر العالم -على اختلاف مشاربها الإيديولوجية- في التعاطي مع حدة انتشار وباء كورونا هو أهم ملاحظة يمكن استشفافها منذ بدايات الجائحة، (بخوش، 2020، صفحة 78) حيث لم تمنع القدرات العظيمة للولايات المتحدة مثلا من تذبذب تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من إنكار خطر الوباء إلى اعتبار الولايات المتحدة في حالة حرب ضد عدو غير مرئي (المنشاوي، 2020، صفحة https://bit.ly/2VPzsps)، بل إلى غاية تفعيل قانون الدفاع الوطني أو ما يعرف بقانون الحرب الصادر عام 1950 والذي ينص على تخصيص كل المقدرات والموارد الحكومية بما فيها موارد الجيش الأمريكي لمواجهة الجائحة؛ وكذا تصريح رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون بأن على مواطنيه "الإستعداد لفقدان أشخاص عزيزين عليهم" (Johnson, 2020, p. https://bit.ly/35mXdIl) وهو الذي أصيب شخصيا بالفيروس؛ أو تأكيد

الرئيس الفرنسي ست مرات في خطاب واحد للأمة الفرنسية بأن فرنسا في حالة حرب (Fuentes, 2020, p. https://bit.ly/2WhGodN)، وهي تصريحات توحي بعجز حكومات هذه القوى العالمية أمام الجائحة العالمية.

لقد أبان واقع الحال عن أسئلة جوهرية متعلقة بفلسفة الحكم، وبعلاقة إجراءات الأمننة بحقوق الإنسان (الحجر الصحي في مواجهة الحرية)، وبنموذج الحكم الليبرالي في مقابل النماذج المغايرة، أو ما يسميه جون ميرشايمر بـ"الدكتاتوريات الناعمة" لوصف السلطات السياسية في روسيا والصين بشكل خاص.

يرى ستيفن والت أن الفيروس سيساهم في تقوية مفهوم الدولة وفي تعزيز القومية وتثبيت قبضة الحكومات التي فرضت إجراءات استثنائية للسيطرة على الفيروس، حيث لن تتخلى هذه الحكومات بسهولة عن سلطاتها الجديدة بعد انقضاء الأزمة؛ كما تزداد جاذبية النموذج الشرقي مع نجاح الصين وكوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة في التعاطي مع الأزمة مقابل تخبط الدول الغربية، والذي يقدّم النموذج الغربي بشكل سيء (Walt, 2020, p. https://bit.ly/3f70kZs).

ويذهب جون إيكنبيري في السياق ذاته إلى التأكيد بأن جائحة كورونا ستعطي دفعة للقوميين ومناهضي العولمة وحتى لأعداء الصين داخل الدول الغربية لأجل البحث في أفضل السبل الممكنة لحماية الدولة وإدارة الإعتماد المتبادل وفق نماذج أكثر أمانا للتعاون المشترك وأكثر حماية للدول (Ikenberry, 2020, p. https://bit.ly/3f70kZs) .

في حين يذهب ريتشارد هاس إلى أنه على الرغم من التفاؤل بزيادة الإهتمام بالصحة العالمية، إلا أن مفهوم العولمة سيتضرر بشكل كبير، حيث من المتوقع أن تؤدي الأزمة إلى تدهور العلاقات الأمريكية الصينية، وإضعاف البناء الأوربي، وازدياد أعداد الدول الفاشلة، ما يؤدي بدوره إلى انكفاء الدول على القضايا الداخلية وتنامي التيارات المعادية للهجرة (Haass, 2020, p. https://bit.ly/3f70kZs).

ويعتقد سلافوي جيجك في مجموعة مساهمات جمعها في كتاب تحت عنوان PANDEMIC! COVID-19 SHAKES THE WORLD، أن إجراءات التحكم التي باشرتها الحكومات في مواجهة الجائحة تنذر بنهاية مرتقبة للنموذج الليبرالي الغربي الذي أضحى يعبّر حسبه على نوع من البربرية العالمية، ويتفق جيجك مع ستيفن والت في تقدير رغبة الحكومات في الإبقاء على سيطرتها في عالم ما بعد الوباء نتاج الوضع الذي أفرزته إجراءات الأمننة، ويضيف جيجك أن العالم سيشهد انتعاش نمط من "الشيوعية الجديدة" المختلفة عن الشيوعية التقليدية، بما يتيح الفرصة لاختبار الفلسفات السياسية المعاصرة كنتيجة طبيعية للحاجة إلى إعادة بناء الثقة في مؤسسات الدولة الغربية التي فشلت في حماية المواطنين (شبكة الجزيرة الإعلامية، 2020، صفحة https://bit.ly/2z3rsbd).

على الرغم من اختلاف الآراء سالفة الذكر، يتضح بما لا يدع مجالا للشك بأن مفهوم وفلسفة حكم الدولة بصدد مراجعة عميقة ترمي إلى إعادة ضبط العلاقة بين الدولة والمواطن، حيث ينتظر أن ينصب الإهتمام مستقبلا حول كيفية ضمان حضور أكثر للسلطات السياسية في الحياة الإجتماعية، وحول سبل تعزيز سيطرة الدولة على الشعب والإقليم نتاج الوضع الذي أفرزته إجراءات الأمننة المتخذة في مواجهة الجائحة، والصلاحيات "الأمنية الموسّعة" التي اكتسبتها الدول على حساب الحريات الفردية والجماعية.

2-3 جائحة كوفيد 19 ومشاريع إصلاح الدراسات الأمنية:

تشكّل الأوبئة في الصنف المصنّع مخبريا منها ركنا أساسيا في سياسات الأمن القومي التقليدية، حيث قامت سياسات التوازن الإستراتيجي لمرحلة الحرب الباردة على افتراضات قيام حروب غير اعتيادية، على اعتبار إمكانية لجوء الدول لاستخدامها في الحرب (الحرب البيولوجية، الكيمياوية، الجرثومية ...)، كما ازدادت أهمية الإعتداد بها أيضا في رسم سياسات الأمن والدفاع بعد مرحلة الحرب الباردة نتاج تنامي المخاوف من استخدامها من طرف الجماعات الإرهابية في إطار "إرهاب بيولوجي"، وهي الإفتراضات التي تعزّزت

بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، ووجدت صدى أكاديميا عند الجامعيين والخبراء على السواء في إطار الحرب العالمية على الإرهاب.

لقد شكّلت مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة وبداية اتضاح معالم نظام الأحادية القطبية نقطة مراجعة عميقة للدراسات الأمنية، حيث يذكر دافيد بالدوين أن الدراسات الأمنية وجدت نفسها أمام مستقبل يرتسم وفق ثلاثة مشاريع بحثية: (BALDWIN, 1995, pp. 133-134)

- المشروع الأول هو سيناريو الوضع القائم: بحيث ترتسم فيه بعض الحدود بين الدراسات الإستراتيجية التي تختص بالتهديدات العسكرية وبالحلول العسكرية لها، في حين تختص الدراسات الأمنية بالتهديدات غير العسكرية (مثل الأوبئة)، حيث لا ينتظر أن تحقق جائحة كوفيد 19 تقدما لصالح الدراسات الأمنية في إطار هذا المشروع بالنظر إلى أسبقية الدراسات الإستراتيجية عن نظيرتها الأمنية ضمن هذا المشروع.

- المشروع الثاني هو سيناريو إصلاحي: مضمونه مباشرة تعديلات طفيفة داخل الدراسات الأمنية تدفع باتجاه محاولة محاصرة الإتجاه التفريعي في الأمن بغية تحديد المجالات الدراسية للأمن وفصلها عن العلاقات الدولية؛ وهو مشروع لا يستقيم مع الضرورات البحثية التي فرضتها الجائحة الحالية، والتي تدفع إلى مزيد من الإهتمام بالعناصر غير العسكرية للأمن سيما الأوبئة والأمراض، كما تدفع إلى المزيد من التقاطعات مع الفروع المعرفية ذات الصلة مثل الإقتصاد والإجتماع وغيرهما.

- المشروع الثالث هو سيناريو تغيير جذري: يدفع باتجاه مباشرة إصلاحات جذرية في الدراسات الأمنية؛ وهو المشروع المثير للإهتمام، والذي يمكن أن تؤثر في إطاره جائحة كورونا على مسار الدراسات الأمنية.

على الرغم من التدافع الذي شهدته أجندة البحوث بين أنصار كل مشروع/سيناريو بحثي، يمكن القول أن أنصار الإصلاح الجذري للدراسات الأمنية دفعوا إلى ضرورة الإهتمام أكثر فأكثر بالجوانب غير العسكرية، كقضايا حقوق الإنسان والجريمة والأوبئة والبيئة، والتي ينبغي بحسبهم

إيلاؤها مكانة الصدارة في البحوث الأمنية، دون إغفال أو تجاوز المواضيع التقليدية للبحوث الأمنية. (SUCHY, 2003, p. 10)

وقد أبرزت الجائحات التي شهدها العالم المعاصر كإيبولا وسارس وكوفيد 19 مؤخرا، الحاجة الملحّة للتعاطي السياسي والأمني مع إشكالية الأوبئة العالمية؛ بحيث يُتوقع أن تزدهر الدراسات الأمنية ضمن مشروع الإصلاح الجذري بتحفيز من وباء كورونا وعبر تقاطعات معرفية بينها وبين العلاقات الدولية، السياسات العامة، السياسات الصحية، علم الإجتماع ... مع إمكانية التنافس مع مجال الإقتصاد السياسي الدولي الذي يتقاطع بدوره مع دراسات الدفاع والإعتماد المتبادل في التسليح ...الخ. (الرويح، 2020، صفحة 75)

خاتمة:

من المبكّر الجزم بفرضية التأثير المؤكد لجائحة كورونا (كوفيد 19) على البحوث الأمنية بالشكل الذي يجعلها تتبوء صدارة البحوث في تخصص العلاقات الدولية، ومع ذلك، فإن المؤشرات الواردة في هذه الدراسة تزيد من القناعة في كون الدراسات الأمنية هي الفرع الأكثر قابلية لتوفير الإجابات التي أضحت ملحّة حول الوباء وتداعياته على أمن الدولة وعلى المجتمع العالمي، وعملية إدارة الخطر الذي يمثّله، وتقويم السياسات الحكومية إزاءه، وتأثيراته المحتملة على مفهوم الدولة وفلسفة الحكم، ومن ثمة على ترسيم حدود بين الدراسات الإستراتيجية والدراسات الأمنية، وتعزيز أطروحات التيار الرامي إلى المحافظة على نسق توسيع مضامين وتعريفات الأمن القومي والأمن الدولي، حيث من المتوقع أن تزدهر الإتجاهات الإصلاحية والتجديدية في الدراسات الأمنية بتحفيز من الجائحة.

ومن جهة أخرى، يمكن أن يحمل تأثير جائحة كورونا على "الإتجاه التنموي" في الدراسات الأمنية -كما يسمّيه بالدوين- جملة من المخاطر على الدراسات الأمنية (كفرع) والعلاقات الدولية (كتخصص) معا، حيث يمكن أن تزيد محاولات "ترويض" المواضيع لصالح الدراسات الأمنية من تعتيم الحدود الفاصلة بينها وبين العلاقات الدولية، وتعتيم طبيعة العلاقة بينهما أيضا؛

بالإضافة إلى الصعوبة التي يطرحها تداخل فروع علمية أخرى كالإقتصاد السياسي العالمي والأنثروبولوجيا والجغرافيا وغيرها، مما يزيد من صعوبة حصر المجال الدراسي للأمن لدى الساعين إلى استقلالية الدراسات الأمنية كتخصص علمي منفصل.

قائمة المراجع:

أولا الكتب والأطروحات والتقارير:

- باللغة العربية:

بخوش، مصطفى. (2020). انعكاسات أزمة كورونا الحديثة في العلوم السياسية. تأليف مجموعة باحثين، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الإجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية. قطر: جامعة قطر - مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والإجتماعية.

حموم، فريدة. (2004). الأمن الإنساني مدخل جديد في الدراسات الأمنية. (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص العلاقات الدولية) جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام.

الرويح، مشاري حمد. (2020). أثر أزمة كورونا على العلاقات الدولية بين الحل، التأمل وإعادة اكتشاف الذات. تأليف مجموعة باحثين، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الإجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، قطر: جامعة قطر- مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والإجتماعية.

عبد الحي، وليد.(ماي 2020). مستقبل المشهد الدولي بعد الكورونا (كوفيد 19)، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات.

عبد الشافي، عصام. (26-03-2020) وباء كورونا وبنية النسق الدولي: الأبعاد والتداعيات، سلسلة تقديرات سياسية، أسطنبول: المعهد المصري للدراسات.

مجلس الأمن. (2000). فيروس نقص المناعة البشرية/متلازمة نقص المناعة المكتسب (الإيدز) وعمليات حفظ السلام الدولية. نيويورك: الأمم المتحدة.

واتس، شيلدون. (2010). الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والإمبريالية. (ترجمة أحمد محمود عبد الجواد) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

ووكر، ريتشارد. (2007). موسوعة كينغفيشر للمعارف: الأوبئة والطاعون، (ترجمة مركز ابن العماد للترجمة) لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.

- باللغات الأجنبية:

EMMERS, Ralf. (2007). Securitization. In: COLLINS, Alan, Contemporary Security Studies (4th éd.). New York: Oxford University Press.

.

ثانيا الدوريات:

- باللغة العربية:

زقاغ، عادل. (سبتمبر 2011). المعضلة الأمنية المجتمعية، خطاب الأمننة وصناعة السياسة العامة. المجلة الجزائرية للسياسات العامة. العدد 01، الصفحات 60-72.

- باللغات الأجنبية:

BALDWIN, David A. .(October, 1995) Security Studies and The End of The Cold War, World Politics.,48 pages 117-141.

HECHT, Robert, ADEYI, Olusoji et SEMINI, Iris. (1998). La Lutte Contre Le Sida: Enjeux Du Développement Mondial, Finance Et Développement. 39(01), pages 36-39.

HEINBECKER, P. (printemps 2000). La Sécurité Humaine: Enjeux Inéluctables. Revue Militaire Canadienne, 1(1), pages 11-28.

SUCHY, Petr. (2003). Role of Security and Strategic Studies within International Relations Studies. Defence and Strategy, 2/2003, pages 7-16.

ثالثا المواقع الإلكترونية:

- باللغة العربية:

شبكة الجزيرة الإعلامية. (08 04, 2020). فيلسوف أوروبي: شيوعية جديدة تنبت من كورونا وحياتنا لن تعود كما كانت. تاريخ الاسترداد 28 04, 2020، من الجزيرة.نت: https://bit.ly/2z3rsbd

المنشاوي، محمد. (12 04, 2020). من الإنكار إلى الإنهيار .. كيف تعامل ترامب مع فيروس كورونا؟ تاريخ الاسترداد 24 04, 2020، من الجزيرة.نت: https://bit.ly/2VPzsps

موسى، سعيد. (19 12, 2007). تداعيات الأمننة والأقصدة على القضية الفلسطينية. تاريخ الاسترداد 22 07, 2010، من الحوار المتمدن: https://bit.ly/2SoPRir

- باللغات الأجنبية:

FUENTES, G. (2020, 03 20). Emmanuel Macron dans la guerre du coronavirus. Consulté le 04 26, 2020, sur Le Monde: https://bit.ly/2WhGodN

HAASS, R. N. (2020, 03 20). More Failed States" in: How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic. Retrieved 04 27, 2020, from foreign policy: https://bit.ly/3f70kZs

IKENBERRY, G. J. (2020, 03 20). "Democracies Will Come out of Their Shell" in: How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic. Retrieved 04 27, 2020, from foreign policy: https://bit.ly/3f70kZs

JOHNSON, B. (2020, 03 12). many more people will lose loved ones to coronavirus. Retrieved 04 24, 2020, from The Guardian: https://bit.ly/35mXdIl

NYE, Joseph S. " .(2020 ,03 20) .American Power Will Need a New Strategy, in: How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic. Retrieved 04 27, 2020, from foreign policy: https://bit.ly/3f70kZs

NYE Joseph S .(2020 ,04 16) NO, THE CORONAVIRUS WILL NOT CHANGE THE GLOBAL ORDER, Retrieved 04 27, 2020, from foreign policy: https://bit.ly/35i6HVw

WALT, S. M. (2020, 03 20). A World Less Open, Prosperous, and Free, in: How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic. Retrieved 04 27, 2020, from foreign policy: https://bit.ly/3f70kZs